obeikandl.com

تعريف بالمؤلف :

عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى البيسابورى ، ويكنى بأبى منصور[٢٩٤] قال ابن بسام فى حقه " كان فى وقته راعى قلعات العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم رأس المؤلفين فى زمانه ، وإمام المصنفين بحكم أقرانه " سار ذكره سير المثل وضربت إله آباط الإبل ، وطلعت دواوينه فى المشارق والمغارب طلوع النجم فى الغياهب[٢٩٥] ويقول فى حقه " الباخرزى " صاحب " دمية القصر " هو جاحظ نيسابور وزبدة الأحقاب والدهور لم تر العين مثله ، ولا أنكرت الأعيان فضله ، وكيف ينكر وهو المزن يحمد بكل لسان ، وكيف يستر وهو الشمس التى لا تخفى بكل مكان وكنت وأنا فرخ أزغب ، فى الإستضاءة بنوره أرغب . وكان هو ، ووالدى بنيسابور لصيقى دار ، وقرينى جوار ، فكم حملت كتبا تدور بينهما فى الإخوانيات ، وقصائد يتطارحان بهما فى المجاويات وما زال بى رؤنا ، وعلى حانيا ، حتى ظننته أبا ثانيا رحمة الله عليه كل صباح تخفق رايات أنواره ، وماء تتلاطم أمواج تياره[٢٩٦] وتواليفه أشهر مواضع ، وأبهر مطالع ، وأكثر داو لها وجامع من أن يستوفيها حد أو وصف ، وأورد شيئا من نظمه فمن ذلك ما كتبه إلى الأمير أبى الفضل الميكالى:

لك فى المفاخر معجزات جمة ... أبدا لغيرك فى الورى لم تجمع

بحران : بحر فى البلاغة شأنه ... شعر الوليد وحسن لفظ الأصمعى[٢٩٧]

---

[٢٩٤] - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان تحقيق الدكتور : إحسان عباس ١٧٨ ترجمة رقم " ٣٨١ " ، جـ ٢ .

[٢٩٥] - راجع الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ص ٥٦٠ ، ٥٦١ المجلد الثانى القسم الرابع دار الثقافة – بيروت – لبان . تحقيق دز إحسان عباس وكذلك " فقه اللغة للثعالبى " ص ٢ وما بعدها منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت - لبنان .

[٢٩٦] - راجع معاهد التنصيص للعياس ٣ / ٢٦٦ وما بعدها ، وايضا دمية القصر فى محاسن أهل العصر للباخرزى .

[٢٩٧] - الوليد : هو أبو عبادة البحترى . والأصمعى : هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن على بن أصمع بن مظهر بن رباح بن عمرو بن عبد شمس المعروف بالأصمعى الباهلى .
وإنما قيل له الباهلى وليس فى نسبه اسم أباهل . لأن باهلة اسم " إمرأة "مالك بن أعصر وقيل : أن باهلة بن أعصر وهو صاحب لغة ونحو وامام فى الأخبار والنوادر والملح والغرائب .
(الوفيات تحقيق د. احسان عباس ٣ / ٢٧٠) .

وترسل الصابى يزين علوه ... خط ابن مقلة ذو المحل الأرفع

كالنور أو كما لسحر أو كالبدر أو ... كالوشى فى برد عليه موشع

شكرا فكم من فقرة لك كالغنى ... وافى الكريم بعيد فقز مدقع

وإذا تفتق نور شعرك ناضرا ... فالحسن بين مرصع ومصرع

أرجلت فرسان الكلام ورضت أف ... راس البديع وأنت أمجد مبدع

ونقشت فى بعض الزمان بدائعا ... تزرى بآثار الربيع الممرع(٢٩٨)

ومنها فى وصف فرس أهداه إليه ممدوحه :

يا راهب الطرف الجواد كأنما ... قد أفعلوه بالرياح الأربع

لا شىء أسرع منه إلا خاطرى ... فى وصف فائلك اللطيف الموقع

ولو أننى أنصفت فى إكرامه ... لجلال مهديه الكريم الألمعى

أفضمته حب الفؤاد ومحبة ... وجعلت مربطه سواد المدمع

وخلعت ثم قطعت غير مضيع ... برد الشباب لحله والبرقع(٢٩٩)

ومن شعره :

لما بعثت فلم توجب مطالعتى ... وأمعنت نار شوقى فى تلهبها

ولم أجد حيلة تبقى على رمقى ... قبلت عينى ورسولى إذ رآك بها(٣٠٠)

مؤلفاته :

وتآليف الثعالبى شهيرة معروفة ، ذاع صيتها ، وطبقت شهرتها الآفاق ، وعرفها القاصى والدانى ، ولا تزال غرة فى جبين الدهر ، وقلادة يزدان بها جيد الزمان ، وهى نبع نهر ينهل منه العلماء ، والأدباء ، والشعراء والنقاد ، ويفيدون

---

٢٩٨ ـ راجع الوفيات ص ١٧٨ ، ١٧٩ .
" إذا تفتق " وفى شذرات الذهب : تبين مكان : تفتق .
٢٩٩ ـ ذاته ص ١٩٧ .
٣٠٠ ـ ذاته ص ١٨٩ .

obeikandl.com

منها كما أنها خالدة خلود الزمن وباقية بقاء الأيام وهى كثرة كاثرة[٣٠١]. يقول فيها ابن بسام :

وتواليفه أشهر مواضع ، وأبهر مطالع ، وأكثر راو لها وجامع ، من أن يستوفيها عد أو وصف ، أو يوفيها حقوقها نظم أو رصف ، وقد أخرجت عن نثره فصولاً أدرجها فى أثناء كتبه ، ومن نظمه جملاً وتفاصيل أعرب بها عن ترقرق طبعه ، وتدفق أدبه تشارك الأرواح فى الأجساد وتفسد للأقراح بالمرصاد [٣٠٢] .

منها :

فقه اللغة ، وسحر البلاغة وسرعة البراعة ، من غاب عنه الطرب و " مؤنس الوحيد " وله من المؤلفات كتاب : " فرائد القلائد " و كتاب " سر الأدب " [٣٠٣] ويتيمة الدهر للثعالبى .

منهجه فى التأليف :

وكتاب " يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر " قد وضعه مؤلفه على أربعة أقسام ينتظم كل منها على أبواب وفصول وهى :

القسم الأول : وقد جعله " الثعالبى فى محاسن أشعار آل حمد " وشعرائهم وغيرهم من أهل الشام وما يجاورها و " مصر " و " الموصل " و " المغرب " ولمع من أخبارهم .

---

[٣٠١] - الذخيرة لابن بسام الشنترينى – دار الثقافة – بيروت لبنان . ص ٥٦٠ و ٥٦١ تحقيق د. احسان عباس القسم الرابع – المجلد الثانى .

[٣٠٢] - معاهد التنصيص للعباس جـ ٣ ص ٢٦٦ وما بعدها ودميمة القصر للبخارزى .

[٣٠٣] - تاريخ الأدباء النحاة المسمى " نزهة الألباء فى طبقات الأدباء للأنبارى ص ٢٣٨ .

obeikandi.com

القسم الثانى : ووضعه الثعالبى فى محاسن أشعار أهل العراق وإنشاء الدولة الديلمية ، من طبقات الأفاضل ، وما يتعلق بها من أخبارهم ، ونوادرهم ، ونصوص من فصول ، المترسلين منهم .

القسم الثالث : وجعله الثعالبى فى محاسن أعار أهل الجبل وفارس ، وجرجان ، وطبرستان ، وأصفهان ، من وزراء الدولة " الديلمية " وكتابها ، وقضاتها ، وشعرائها ، وما ينضاف إليها من أخبارهم ، وغرر ألفاظهم .

القسم الرابع : وكان ذلك القسم فى محاسن أهل " خراسان " وما وراء النهر من إنشاء الدولة " السامانية " و " القرنية " والطارئين على الحضرة ببخارى من الآفاق والمتصرفين على أعمالها ، وما يستطرق من أخبارهم وبخاصة أهل " نيسابور " والغرباء الطارئين عليها ، والمقيمين بها [٣٠٤].

ولقد وفى المؤلف بما وعد فجمع فيه من بدائع أعيان الفضل والأعلام من أهل العصر وبخاصة الذين أغفلتهم بعض المصادر القديمة ، والمتقدمة على كتاب " اليتيمة " ثم ذكر بعضاً من طرائفهم ، وملحهم ، ونوادرهم مما هو حقيق بالذكر ، وحرى بالخلود ، وقمين بالتسجيل ، وخليق بالتدوين .

ثم يومئ " الثعالبى " إلى الأحاسن ، والسرقات والنظائر ، ونبذ من أخبار المذكورين ، وغرر من نصوص المترسلين مع الميل إلى الاقتصار ، ثم يقول " الثعالبى " :

" وإن أخرت متقدماً فعذرى فيه أن العرب قد تبدأ بذكر الشئ ، والمقدم غيره كما قال الله عز وجل : يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين " [٣٠٥] ، وكقوله سبحانه وتعالى " هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن " [٣٠٦].

---

[٣٠٤] - راجع " يتيمة الدهر للثعالبى " ص ٦ ، ٧ .
[٣٠٥] - سورة آل عمران آية ٤٣ .

ففى الآية الأولى قدم السجود على الركوع علماً بأن " الركوع سابق له " ، وفى الآية الثانية قدم الكافر على المؤمن ، ولقد وقع ذلك فى الشعر العربى فنجد الصحابى الجليل حسان بن ثابت رضى الله عنه يقول :

بها ليل منهم جعفر وابن أمه على ومنهم أحمد المتخير (٣٠٧)

وكما قال الشاعر " الصلتان العبدى " :

فملتنا أننا مسلمون على دين صديقتا والنبى

فقدم آل " جعفر " فى البيت الأول ، والمقدم حقيق هو " أحمد " صلى الله عليه وسلم.

وكذلك فى البيت الثانى : حيث إن الشاعر " الصالتان العبدى " قدم " الصديق" رضى الله عنه ، والمقدم حقيقة هو : النبى صلى الله عليه وسلم .

وإن قدمت متأخراً فسبيله على ما قال " " إبراهيم الموصلى " " المسرور " وقد تقدمه فى المسير " إن تقدمتك كنت مطرقاً لك ، وإن تأخرت فلحق خدمتك ".

وقال أبو محمد المزنى " للملك نوح " فى مثل تلك الحال " إن تقدمت فحاجب، وإن تأخرت فداك واجب " (٣٠٨) .

وقد بدأ " الثعالبى " بتفضيل أشعار الإسلاميين على أشعار الجاهليين ، وأشعار المحدثين على أشعار المتقدمين والمولدين على المحدثين ، ثم فصل شعر العصريين على من سبقهم ، وذلك رأى يدعو الباحث للوقوف لديه ؛ وإبداء الرأى فيه ؛ حيث إن لكل مرحلة ميزة خاصة ، ومذاق خاص ، متفرد به عما سواها ؛ كما أن لكل

---

٣٠٦ - سورة التغابن آية ٢ .
٣٠٧ - ديوان حسان بن ثابت .
٣٠٨ - راجع اليتيمة للثعالبى ص ٨ مطرقاً لك . بتشديد الراء فهو كطرق أى جعل لك طريقاً . وأصله . طرق فلان لإبله اللسان لابن منظور .

عصر من العصور خصائص يختص بها وميزات ينفرد بها عن بقيـــة الأعصـــر ، وذلك على افتراض أن الثعالبى لم يعكس الترتيب ، ففى الشعر الجاهلى ولغته نســـلم بأنه لم يلحق من حيث سلامة لغته ، وقوة تعبيره ، وجزالة ألفاظه ، ومكانة تراكيبه، وفطرية تلك التعابير ، والتصاقها التصاقاً وثيقاً بوجدان الشاعر وأحاسيسه وإمامتـــه عما يدور بخلده . ولقد عبر الثعالبى عن جانب من ذلك وكأنه نسبه فى زحمة البحث حيث يقول :

" الشعر عمدة الأدب ، وعلم العرب الذى اختصت عن سائر الأمم ، وبلسانهم جاء كتاب الله المنزل على النبى منهم ، المرسل إلـــيهم صـــلوات الله عليـــه وآلـــه وسلم " [٣٠٩] .

فمما لا يختلف فيه اثنان ، أن القرآن العظـــيم كتـــاب الله وبيانـــه ، ووحيـــه وتنزيله، وهداه وسبيله ، به قصم الله ظهر كل شيطان مريد ، وأذل به كـــل جبـــار عنيد ، وقد تحدى الله به العرب وهم أرباب الفصاحة ، وأمراء البيان ، وسدنة اللغة وذلك دليل حاسم على أن اللغة فى هذا العصر بلغت أوجاً عظيماً ، وسر عظمتهـــا نزول القرآن بهذه اللغة ، وزادت صفاء ورونقاً وبهاء بعد تنزل القرآن الكـــريم . إذ ليس من المعقول أن يتحداهم الله سبحانه وتعالى بما ليس فى مقدورهم . وعلى ذلك الاساس كان نزول القرآن بلغتهم تحدياً لهم ومن هذا المنطلق كان القـــرآن الكـــريم معجزاً .

بعدما تقدم يستبين لنا بوضوح أنه لا مجال للطعن أو الحط من قدر " أشـــعار الجاهلين " .

وقد كان " ابن قتيبة " أدق نظراً من " الثعالبى " حيث يقول : " ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له ؛ سبيل من قلد . أو استحسن باستحسان غيره ،

---

[٣٠٩] - راجع يتيمة الدهر جـ ١ جـ ٢ ، ومجلة كلية الدراسات الإسلامية بسوهاج ص ٧٧ وما بعدها " بحث للزيل االدكتور / حامد الخطيب " بتصرف .

ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلال لتقدمه ، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل على الفريقين . أعطيت كلاً حظه ، ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ؛ ولا خص قوماً دون قوم . بل جعل ذلك مشتركاً مقوماً بين عباده فى كل دهر " [٣١٠] .

ومفهوم نظرية " ابن قتيبة " أنه من واجب الباحث أن يدرس ويحلل شعر عصر من العصور ، أو شعر شاعرين – إذا أراد الموازنة بينهما . والمفاضلة بين نتاجيهما – ثم يصدر بعد ذلك حكمه المبنى على الدراسة الجادة . والشعور المرهف. والذهن المتقد فيفضل شاعراً على آخر ، أو شعر مرحلة على شعر مرحلة أخرى حي إن الله لم يقصر العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا على قوم دون آخرين .

ثم يجئ الإمام " عبد القاهر الجرجانى " فيضع معالم نقدية تجلت لديه أكثر من غيره . وبها تفوق على كثرة كاثرة من النقاد . فكان بحق ناقداً متذوقاً فنراه يقول : " معلوم أن سبيل الكلام سبيل ما يدخله التفاضل ؛ وأن للتفاضل فيه غايات ينأى بعضها عن بعض ومنازل يعلو بعضها بعضا ، وأن علم ذلك علم يخص أهله . وأن الأصل والقدوة فيه للعرب . ومن عداهم تبع لهم . وقاصر فيه عنهم . وأنه لا يجوز للمتأخرين من الخطباء والبلغاء عن زمان النبى صلى الله عليه وسلم الذى نزل به الوحى : وكان فيه التحدى ، أنهم زادوا على أولئك الأولين . أو كملوا فى علم البلاغة ، أو تعاطيها لما لم يكملوا له ، كيف ؟ ونحن نراهم يخملون عنهم أنفسهم ، ويبرأون من دعوى المداناة معهم فضلاً عم الزيادة عليهم [٣١١] .

---

[٣١٠] - راجع الشعر والشعراء لابن الدينورى جـ ١ ص ٦٢ وما بعدها جـ ١ دار المعار ، تحقيق الأستاذ / أحمد شاكر .
[٣١١] - الرسالة الشافعية للإمام عبد القاهر الجرجانى ملحقة بدلائل الإعجاز ط الخانجى سنة ١٩٨٤م .

obeikandl.com

هذا " خالد بن صفوان " يقول : " كيف نجاريهم وإنما نحاكيهم ، أم كيف نسابقهم ، وإنما نجرى على ما سبق إلينا من أعراقهم "[٣١٢] .

وكان من واجب " الثعالبى " الذى جاء بعد هؤلاء النقاد الشوامخ ، والعلماء الرواسخ ، أن يدرس بعناية أقوالهم وأن يضع على منضدة البحث والتحليل نظرياتهم ثم يصدر حكما نقديا نفيد منه .

لكنه فيما يبدو قد جرفته صناعة عصره ، وغلبت عليه اتجاهات ذلك الزمن فلا يعقل أن يكون التفاضل مرده إلى اختصاص العرب بصناعة الشعر ، ولكن مرده حقيقة إلى مدى التمكن من اللغة وعلومها ، ودروبها وأساليبها ، وخصائصها ، وخصائص رصف كلماتها ، ووضع كل حرف او كلمة أو جملة فى المكان الذى يتطلبها ، ويأخذ بحجزها ، ومن ثم تتوافد المعانى الجديدة ، وتتوارد حولها الخواطر لحسن ما لها من علاقات بأخواتها[٣١٣] .

ويقول الإمام الشهيد " سيد قطب " ليس المطلوب من الأديب أن يقول كلاما كيفما انعقد ، ولكن المطلوب أن يكون له ميسم ذاتى ، وطابع شخصى ، يدفع به كل عمل يخرج من بين يديه ، فيلمسه القارىء فى كل أعماله ، لا فى طريقة تعبيره ، ولكن فى طريقة شعوره ، فالطابع الشخصى لا يفارق صاحبه فى لحظة من اللحظات ، وكل أدب هو أدب ذاتى فى الحقيقة من هذه الناحية ، ناحية الشعور وطريقة التعبير ، وتناول الموضوع وما قص إلا جزء من الطابع الذاتى والشعورى للأديب[٣١٤] .

والثعالبى يبنى مفاضلته على الصناعة اللفظية التى كانت ديدن عصره وهجيراه ، وصارت معلما من المعالم التى تميزه عما سواه ، فأفسدت الأذواق

---

٣١٢ - خالد بن صفوان بن عبد الله الأهتم كان قريعا لشبيب ، وعلما من أعلام الخطابة ووفد على الشام ، وكان من سمار أبي العباس .

٣١٣ - نظرية العلاقات لأستاذنا الفاضل د. محمد نايل بتصرف .

٣١٤ - النقد الأدبى للإمام الشهيد " سيد قطب " ٢١ . ط دار الفكر سنة ١٩٥٩ .

وأضعفت الملكات ، وجرتهم إلى الجرى وراء المحسنات دون النظر بواقعية إلى معانى الكلمات ، ودور الحرف واللفظ فى ظل تركيب حيث إن اللفظ أو الحرف يلعب دورا أساسا فى الجمل والتراكيب .

ولقد وعدنا الثعالبى بقوله " والشرط فى هذه الأخرى إيراد لب اللب ، وناظر العين ، ونكتة الكلمة ، وواسطة العقد ، ونقش الفص "[٣١٥]
ولقد صدق " الثعالبى " فى مقولته هذه ، ولكنه سرعان ما احتاط لنفسه ، واحترس لنقده حيث يقول :

" فإن وقع من خلال ما أكتبه البيت والبيتان مما ليس فى القصائد ، وواسطة القلائد ، فلأن الكلام معقود به ، والمعنى لا يتم دونه ، ولأن ما يتقدمه أو يليه مفتقر إليه"[٣١٦].

وذلك يعد من الآراء المقبولة . أما غير المقبول والذى قد جانبه الصواب فيه وهو أيضا غير مقبول حيث حاد فيه عن جادة الطريق النقدى والذى لا ينحاز قوله:

" أو لأنه شعر ملك أو أمير ، أو وزير أو رئيس خطير ، أو إمام من أهل الأدب والعلم كبير ، وإنما ينفق مثل ذلك بالانتساب إلى قائله ، لا بكثره طائله .

وخير الشعر أكرمه رجالا وشر الشعر ما قال العبيد[٣١٧]

لقد قبلنا معاذيره فى أن يقع له البيت أو البيتان على خلاف شرطه للأسباب التى أومأ إليها ، لكنا لن نقبل عذره فى سوق شعر ليست قوته من ذاته ، ولا رواجه وذيوعه من مضمونه ، بل يستمد ذلك – حسب رأيه من قوة السلطة ، أو السطوة ، كن يكون القائل ملكا او أميرا أو وزيرا ، أو رئيسا خطيرا .

---

[٣١٥] - يعنى بذلك النسخة التى وضعها بعد أن رأى مقامه الأولى .
[٣١٦] - يتيمة الدهر ١/ ٧ وما بعدها .
[٣١٧] - ذاته .

وهذا رأى غير غير مقبول من " الثعالبى " وهى نظرة مادية حيث إنه يقبل الضعيف المرذول ، فيقحمه بين أشعار تطرده . وقصائد ترفضه . فيسجله نظير عطاء أو كدية واستجداء ، وليس كذلك شأن الباحث الأديب الناقد الذى يضع الأمور فى نصابها . ويزن الأدب بميزان دقيق الحس ، مرهف الشعور ، وذوق أدبى رفيع

ولقد كان جديرا بالثعالبى ألا يجرى برايه خلف الكلم الذى لا غناء فيه ، كتلك التى ضمها البيت الشعرى السالف فهى كلمات تشى من ظاهرها ، ومن خفيها بالنبو المحض والابتعاد عن حقائق الأشياء . وإنها لا تنتسب إلى النظر الفاحص بأدنى سبب[٣١٨] .

على أننا لو سالنا " الثعالبى " رأيه فى " ابن المعتز " الخليفة أو فى " أبى فراس الحمدانى " الأمير فلعله يجيب بعبارته السابقة : " لم يزل عرب الشام وما يقاربها ، أشعر من شعراء عر ب العراق وما يجاورها فى الجاهلية والإسلام " ثم يذكر الطائيين . وسوف يجنح عنك بانه احتاط لذلك واحترس فقال : " أو إمام من اهل الأدب والعلم كبير " والطائيان من أئمة الأدب ، ولذلك سنعرض لك مثالا آخر ، نعرض الفرزدق وجريرا ثم نسأل " الثعالبى " أيهما أكرم أبا ، وأكثر مفاخر ؟ ُم أيهما أثبت قدما فى الشعر ونظمه[٣١٩] ؟ أو نعرض " عبد بنى الحساس " ذلكم الأعجمى الأسود الشديد السواد ، وصاحب الغزل والتشبيب ، والذى يذكرون عنه أن النبى (ﷺ) قد استشهد بشىء من شعره ، وصاحب القصيدة الشهيرة :

عميرة ودع إن تجهزت غازيا كفى الشيب والإسلام للمرء ناهي[٣٢٠]

وقد " ابن سلام " ضمن شعراء الطبقة التاسعة مقدما إياه على عديد من الشعراء الأحرار[٣٢١] .

وهناك أمثلة كثيرة سجلها " أبو منصور " تدل دلالة على تناقض رأيه فى المفاضلة بين الشعراء .

---

[٣١٨] - مجلة كلية الدراسات بسوهاج ص ٨٢ وما بعدها بتصرف بحث للزميل الدكتور . حامد الخطيب

[٣١٩] - الشعر والشعراء لابن قسمة الدنيورى ط دار المعارف ١ / ٤٦٤ وما بعدها ..

[٣٢٠] - ذاته ص ٤٠٨ .

[٣٢١] - مجلد كليات الدراسات الإسلامية بسوهاج ص ٨٤ وما بعدها " بحث " للزميل د. حامد الخطيب .

نقد المتنبى

مما لا يختلف فيه اثنان أن الثعالبى أجاد أيما إجادة فيما خص به المتنبى من نقد حيث إنه – أى الثعالبى – عرض لكل الجوانب عرضاً شاملاً للمآخذ والفضائل ، قلما نجد لذلك نظيراً فى القيمة ، فلقد تعرض الثعالبى لحياة المتنبى مع الاستشهاد وذكر أخباره ونماذج من لماحية نقده وآراء النقاد فيه من الأدباء والذين زامنوه والتقى بهم ، كما تعرض لهجوم الحاقدين عليه والحاسدين له كالصاحب بن عباد وابن لنكك ، ثم عرض لمآخذ الصاحب من شعر المتنبى ، على الرغم من حقده عليه ، لعدم امتداحه إياه ، وكيف حل منظومه ونثر معانيه فى رسائله [٣٢٢] كأن يقول : وقد أثنى عليه ثناء لسان الزهر على راحة المطر ، وهو من قول أبى الطيب المتنبى :

وذكى رائحة الرياض كلامها تبغى الثناء على الحيا فيفوح [٣٢٣]

وكان يقول : " وعاد مولانا إلى مستقر عزه عود الحلى إلى العاطل ، والغيث إلى الروض الماحل " .

وهو من قول المتنبى :

وعدت إلى حلب ظافراً كعود الحلى إلى العاطل (٣٢٤)

ثم نرى الثعالبى يتعرض لما أخذه الشعراء من شعر المتنبى ، وما أخذه المتنبى من شعر غيره ، كما أنه يعد – كما أومأنا إلى ذلك آنفاً – أنه سيأتى بأشياء لم يقترعها غيره ، ولم يطرق بابها سواه : ثم نراه لا يوفى بما وعد ، فيقول : " وإذ قد ذكرت أنموذجاً من سرقات الشعراء منه ، فلا بأس أن أذكر سرقاته من الشعراء

---

[٣٢٢] - راجع الصبح المتنبى ص ١٤٥ وما بعدها ط – دار المعارف .
[٣٢٣] - راجع يتيمة الدهر للثعالبى ١ / ١٢٤ .
[٣٢٤] - ذاته ص ١٢٧ .

سوى ما أورده القاضى " أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى " فـــى كتـــاب " الوساطة " [٣٢٥] .

ومع ذلك نرى الثعالبى لا يصدق فى وعده بل أخذ كثيراً مما أورده الجرجانى فى كتابه الوساطة دون زيادة عليه ، بل نقله نقلاً [٣٢٦] . ثم يكشف عن جانب ممـــا أخذه الشعراء منه ، وبحق لقد كان فى ذلك مبدعاً ومجيداً ، فمن ذلك قوله : وقـــال السرى:

وأحلها من قلب عاشقها الهوى بيتـــآ بلا عمـــدٍ ولا أطنـاب

وهو من قول المتنبى :

هام الفؤاد بأعرابية سكنت بيتـاً مـن القلـب لم نضـرب بـه طنبـا

(٣٢٧)

وقال المتنبى :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعـــض دم الغـــزال

وقال أيضاً :

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معـــدن الذهـب الرغـام

فلقد أخذ معنى البيتين (الخوارزمى) فقال :

فديتك ما بدا لى قصد حر ســواك من الـــورى إلا بـدا لـى

وأنك منهم وكذاك ايضـــاً من المـــاء الفرائـــد واللآلـــئ

وتسكن دارهم وكذلك سكـ نى الحجارة والزمرد فى الجبال(٣٢٨)

---

[٣٢٥] - ذاته ص ١٣٢ .
[٣٢٦] - الوساطة للجرجانى ص ٨٩ وصفحات أخرى من الكتاب .
[٣٢٧] - راجع يتيمة الدهر ١ / ١٣٠ وما بعدها . والديوان ١ / ١١١ وما بعدها .
[٣٢٨] - ذاته .

وذلك المعنى قد ابتدعه المتنبى حيث قال :

فإن يك سيار بن مكرم انقضى فإنك ماء الورد إن ذهب الورد (٣٢٩)

تلك نماذج يسيرة من كثرة كاثرة ساقها الثعالبى لمن أخذوه من شعر المتنبى ، مع الكشف عن سبق المتنبى وإبداعه بكثير من المعانى ، وعمن أغار على ألفاظه ومعانيه ، وبعد أن أبان الثعالبى ما أخذه الشعراء من المتنبى شرع فى ذكر ما أخذه المتنبى من غيره من الشعراء ، وتلك حيدة كاملة ، بيد أن ما عرضه من سرقات كان أكثر مما عرضه لما سرق منه ، وذلك إجحاف وظلم بين لأبى الطيب المتنبى ، وأن الثعالبى لم يتحر الدقة ولم يوازن موازنة عادلة بين الشعراء وبين المتنبى ، وبذلك قد ظلمه ظلماً بيناً وحاق عليه وغمقه حقه مع فهمنا وإيماننا بنبوغ المتنبى وشاعريته ، وعبقريته وفحولته لا نزعم ولا نستطيع الادعاء بأن المتنبى لم يأخذ من غيره أو يقتبس ، لكننا نستطيع القول أن ما يأخذه يصيغه صياغة جديدة تخرجها من حوزة السابقين إلى حوزته فهو ، فتراها وقد تبدت فى ثوب قشيب يكسوها رونقاً وبهاءً ، فكأنها له وحده ، ومع ذلك لا نعفيه من الأخذ والتخلف عمن أخذ منه فى أحايين كثيرة ؛ ونسوق لذلك نماذج تؤيد ما ذكرنا قال الثعالبى : وقال أبو نواس : ويقال : أنه أمدح بيت للمحدثين :

وكلت بالدهر عيناً غير غافلة بجود كفيك تأسو كل ما جرح

أخذه المتنبى وزاد فيه حسن التشبيه فقال :

تتبع آثار الرزايا بجوده تتبع آثار الأسنة بالفضل (٣٣٠)

فزيادة التبيه لدى لدى المتنبى فى رأينا لم تجعل للبيت فضلاً يفضل به بيت أبى نواس . لأن المتأمل للبيتين يجد خيالاً وتصويراً أتت دقته عند أبى نواس من أن

---

[٣٢٩] ذاته ص ٢٢٢ وما بعدها جـ ٤ ، ويتيمة الدهر ١ / ١٢٨ .

[٣٣٠] - يتيمة الدهر ١ / ١٣٣ وما بعدها . والديوان ٣ / ٢٩٧ .

الممدوح وكل بالدهر الذى منه كل رزء ، عيناً لا تغفل قط ، كما جاءت دقته لـــدى المتنبى من تتبع آثار الرزايا تتبع آثار الجراحات بفتيل الطيب .

ويلاحظ رحابة المضمون عند أبى نواس بصورة يتفوق بها على المتنبى ، بيد أن المتنبى تظهر فى بيته الآثار النفسية التى لا تنفك تلازمـــه ، أعنـــى الشـــجاعة والفروسية والحرب وأدواتها . وما يعتريه من نكد الدهر وهموم الحياة .

والمتنبى يلمح المعند عند غيره فيأخذه ويحوله حسب رؤيته هو ويضفى عليه من المعانى الجليلة والألفاظ الجزلة الفخمة ما يبدو فى عين القارئ مبتكراً ، وكأنه لم يأخذ ذلك من غيره ؛ تلك براعة المتنبى وشاعريته وإحساسه المرهف . قال الثعالبى " قال أبو نواس وهو من قلائده فى وصف الخمر " :

إذا ما أنت دون اللهاة من الفتى دعا همه من صدره برحيل (٣٣١)

أخذه المتنبى ونقله إلى معنى آخر فقال :

وما هى إلا لحظة بعد لحظة إذا نزلت فى قلبه رحل العقل (٣٣٢)

فإن نظرة الحبيب فعلت به الأفاعيل ، فخمرة أبى نواس أذهبت الهم ولكن تلك أذهبت العقل ، وهو مناط التفكير ، ومواطن الآمال والآلام أما ذهاب الهم فقد يترك بقية للسكران الثمل بقية من عقل يتصرف به عن وعى أو بعـــض وعـــى ، ولكـــن نظرته إلى العيون النجل تركت العاشق المتيم والمحب المغرم دون عقـــل فهـــو لا يحس ولا يعقل وتلك عظمة المتنبى فى دقة التعبير والإحاطـــة بـــالمعنى ، وجـــودة التعبير عنه .

---

٣٣١ - ديوان أبى نواس .
٣٣٢ - يتيمة الدهر ١ / ١٣٤ . والديوان ٣ / ٣٨١ .

وهكذا يمضى الثعالبى يسرد سرقاته وسرقات غيره منه ، وفى كل ذلك نجد أن للثعالبى شيئاً له وشيئاً عليه . فما يحمد للثعالبى ملاحظته على المعنى المشترك بين المتنبى وابن المعتز ، الذى يقول :

لا تلق إلا بليل ما تواصله فالشمس نمامة والليل قواد

أخذه المتنبى فقال :

أزورهم وسواد الليل يشفع لى وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى(٣٣٣)

ثم نرى الثعالبى يعلق على ذلك فيقول :

" ولن يخلو المتنبى من إحدى ثلاث : إما ان يكون ألم بهذا المصراع فحسنه وزينه وصار أولى به ، وإما أن يكون قد عثر بالموضع الذى عثر به ابن المعتز ، فأربى عليه فى جودة الأخذ ، وإما ان يكون اخترع المعنى وابتدعه وتفرد به ، فلله دره ، وناهيك بشرف لفظه ، وبراعة نسجه ، ومأحسن ما جمع فى بيت واحد ، وما أراه سبق إلى مثلهما ، وما زال الناس يعجبون من جمع البحترى ثلاث مطابقات فى قوله:

وأمة كان قبح الجور يسخطها دهرا فأصبح حسن العدل يرضيها

حتى جاء أبو الطيب ، فزاد عليه مع عذوبة اللفظ ورشاقة الصنعة(٣٣٤) . ولو ان الثعالبى تابع تلك الطريقة فى كل فصله وكتابته ونقداته عن المتنبى دون الاعتماد على ذوق " الصاحب بن عباد " . أو تحاملاته ودون نظر إلى تعصب العميرى وترهاته لأخرج لنا الثعالبى نقدات ذات فائدة مبنية على التامل والتأنى والروية ، والموازنة الجادة ، ولكنه يبدو قد تأثر بحساد المتنبى والحاقدين عليه ، فأفسد ذلك عليه ذوقه ، وحرمنا مما كنا نتطلع إليه ونرجوه منه .

---

٣٣٣ - يتيمة الدهر ١ / ١٣٧ .

٣٣٤ - يتيمة الدهر ١ / ١٣٦ .

بين يدى الكتاب

وكتابه " يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر " أكبر كتبه وأحسنها وأجمعها وفيها يقول أبو الفتوح نصر الله بن قلاقس الإسكندرى الشاعر المشهور :

أبيات أشعار اليتيمة أبكار أفكار قديمة

ماتوا وعاشت بعدهم فلذلك سميت اليتيمة(٣٣٥)

وهو الكتاب الذى لولاه لبقيت محاسن اهل عصره مؤلفة – وهى التى معها رواد الحداثة ، ولذة الجدة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على كثرة النقد – غير محصورة بكتاب يضم نشرها ، وينظم شذرها . ويشد أزرها ، ولا مجموعة فى مصنف يقيد شواردها ، ويخلد أوابدها ، مع أنه قد سبق مؤلفو الكتب إلى ترتيب المتقدمين من الشعراء ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، وتدوين كلماتهم والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم فكم من كتاب فاخر عملوه ، وعقد باهر نظموه ، لا يشينه غلا نبو العين من إخلاق جدته ، وبلى بردته ، ومج السمع لمرددات ، وملالة القلب من مكرراته .

وقد جمع الكتاب الكثير من غور شعراء القرن الرابع وصدر القرآن الخامس ملوكهم وامرائهم ووزرائهم وقضاتهم ذوى المجد منهم وذوى المجون فى رقعة البلاد التى كانت يد الغرب مبسوطة عليها يومذاك من بلاد الشام والعراق وجرجان

---

٣٣٥ - وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/ ١٧٩ ، ومقدمة " يتيمة " الدهر تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ط أولى ١٣٩٩ ه ١٩٧٩ م .

ومصر والمغرب والأندلس وغيرها ، وهذه الحقبة من الزمن على ما كان فيها من التفرق والاضطراب السياسى أنضر حقب الزمان فى الآداب والعلوم والفنون[٣٣٦] .

والكتاب يحوى كثرة كاثرة من شعر المجون كالذى نجده من أبى الرقعمق وأبى القاسم الواسانى وابن لنكك وأبى الحسن السلامى ، وابن سكرة الهاشمى وابن الحجاج وغيرهم ، وقد ترددنا كثيرا فى ان نجارى بعض أدباء هذا العصر فى إثبات هذه الأشعار . ولكننا لم نشأ إثبات شىء منها تعففا وحياء من الله سبحانه وتعالى ونشدانا للدعوة إلى أدب إسلامى ينشر الفضيلة ويحفز إلى التحلى بالأخلاق الكريمة والسجايا الحميدة ويدعو إلى المكارم التى عرف بها ذلك الدين الحنيف ومن يرد الاطلاع على شىء من هذه الأشعار فهى مبثوثة فى بطن الكتاب ومنبثة بين دفتيه .

أما الذين يثبتون فى تواليفهم هذه الأشعار بحجة أن ذلك من الأمانة العلمية فنقول لهؤلاء إن حجتكم داحضة فغذا كان إثبات بعض هذه الأشعار للاستدلال أو للأمانة العلمية فيكتفى بالإيماء عليها . وعدم إثباتها حيث إن إثباتها مدعاة للانحلال لبخلقى ، ودعوة للفجور والقهر ونشر للفساد والمجون ، والأدب الهادف يدعو إلى الخلق ويسهم فى أنتشار الفضيلة ، والتسلح بحميد الصفات ، وجليل العادات والدعوة إلى ما دعا إليه الإسلام من مبادىء وأهداف .

وجميع كتبه تعد ثروة لمن يريد الثقافة الأدبية العالية ، ومن أجل هذا كله يعد الثعالبى خير مؤرخ إجتماعى فى عصره وكتابه الشيخ " محمد محى الدين عبد الحميد " فى المقدمة التى صدر بها كتاب اليتيمة : ما نصه : والكتاب بعهد هذا اوفى المراجع الأدبية لمن يريد أن يدرس الشعر العربى ، ولمن يريد أن يدرس الحالة الإجتماعية ، والسياسية عن طريق النتاج الأدبى فى القرن الرابع ، وصدر من القرن الخامس الهجرى[٣٣٧] .

---

[٣٣٦] - مقدمة اليتيمة ص ٤ ط أولى .
[٣٣٧] - راجع يتيمة الدهر ١ /٤ .

كما أننا نستطيع أن نقول : " إن الثعالبى يعد بحق من أوائل الـذين حـاولوا تخليص كتب الأدب التى كانت محشوة بها وأخلصها للأدب الخـالص ، وبخاصـة كتابه الذى بين أيدينا وهو " اليتيمة " يقول الأستاذ " زكـى المحاسـنى " فـى هـذا المضمار " وأما الأدب فكان فى القرن الرابع الهجرى مـرآة أصـحابه ، وصـور نفوسهم وأهوائهم ، ولم يك بمعزل عن الجماعات ، ففيه آثار كثيرة صورت مجتمع هذا العصر فى الشعر والنثر ، ولكنه لم يبرز كأدب بحت خالص لأخبار الشـعراء والأدباء إلا عند القليل كالثعالبى فى يتيمة الدهر ، وأبى على القالى المتـوفى سـنة ٣٥٦ ه فى كتابه الأمالى[٣٣٨] .

كما يذكر الأستاذ " بطرس البستانى "[٣٣٩] ما يفيـد ذلـك ، ويـدل علـى ان الثعالبى لم يكن كحاطب ليل يجمع ما شاء الله له أن يجمع حيث يقـول : " وشـاع تمحيص الروايات والأخبار فى المجاميع الأدبية وأشهرها " الأغـانى لأبـى فـرج الأصفهانى المتوفى فى سنة ٣٥٦ ه ، ويتيمـة الـدهر للثعـالبى " وزهـر الآداب للحصرى ولما كان كتاب " يتيمة الدهر " يشتمل إلى جانب الأخبار على كثير مـن النصوص الشعرية والنثرية – وقف الثعالبى من هذه النصوص موقفه من الأخبار ، فكان له فى معظم النصوص آراء طيبة ، وذاك أنه قصد بهذا الكتاب أن يكون كتاب أدب ونقد يسوق أخبار الشعراء ، وبعض جوانب حياتهم محاولا الربط بين مراحـل حياتهم وما قالوه من شعر ، كذلك لا ينسى الإيماء إلى ثقافتهم ، وما تركته من آثار على ما يقولون كما فعل مع : المتنبى ، وابى نواس ، والسـرى الرفـاء ، وابـن الحجاج وابن سكرة ، وأبى هلال الصابى ، والصاحب بن عبـاد وابـن العميـد ، والقاضى الجرجانى ، وغيرهم من الشعراء والكتاب .

---

[٣٣٨] - المتنبى لزكى المحاسنى ص ١٧ سلسلة نوابغ الفكر العربى رقم ٦٥ .
[٣٣٩] - أدباء العصر فى الأعصر السياسية ص ٤٣٦ .

ويضم من شعر هؤلاء واولئك ، ورسائلهم قصائد ومقتطفات مـــن المختـــار الجيد الذى بجودة السبك ، وزخرف اللفظ والإبداع ، ولا يكتفى بالتاريخ للشاعر ولا بالإختيار من بديع شعره ، وإنما يتنبه إلى أثر البيئة فى الشعر والشعراء ، ثم يعمـــد إلى المازنة بين الشاعر وغيره من الشعراء المعاصرين ، أو السابقين فى فـــن مـــن فنون الشعر برع فيه ، أو حاول أن يتأثر به بسابق فيه ، كما أنه يتعقب معانى بعض الشعراء ، ويكشف عن سرقاتهم .

ويهتم الثعالبى بتوثيق الشعر وتحقيقه ، كما يهتم بإظهار بعـــض الخصـــائص والمعالم الفنية فى شعر من يترجم لهم من الشعراء .

كما ان كتاب اليتيمة يعد سجلا عظيما وقيما لعدد كبير من الشعراء لا غنيـــة لباحث أو أديب عنه ، ، وهو مرجع هام لكثير من النصوص الشعرية وملابساتها ، وبخاصة ما يستجاد منها فى نظره .

ولعل من أقوم ما احتواه هذا الكتاب تلك الذخيرة الضخمة القيمـــة مـــن آراء النقاد فى الشعر وأشعارهم ، وهو بذلك يقدم لمؤرخى النقد والنقاد أجل نفع .

openkanal.com

آراء الأدباء والنقاد فى { اليتيمة }

وعلى الرغم من أهمية الكتاب ، وقيمته العلمية والأدبية ، والتى لا غنية عنها لباحث أو أديب أو شاعر أو ناقد عنه إلا أن هناك انتقادات ، وآراء واعتراضات ، لبعض علماء الأدب والنقد آثرنا تسجيلها ، وإلقاء الضوء عليها وعرضها على منضدة البحث لنبين للباحثين ما دار حول " يتيمة الهر " من المفاعيم ، والآراء .

يقول الدكتور " زكى مبارك " : " وهو قليل التعليل لأحكامه على الكتاب ، والشعراء ، فإذا بدا له أن يعلل ، ويحلل ، وينقد ، فعل بلا نعمل ولا استقصاء "[٣٤٠] .

فنرى أن الدكتور : زكى مبارك يأخذ على " الثعالبى " قلة التعليل لما يصدره من أحكام على الشعراء ؛ والكتاب والأدباء . ونحن نرى أن ذلك الكلام مردود عليه ، بأن قلة التعليل للأحكام التى يصدرها على الكتاب والشعراء . هو أن كتاب اليتيمة لم يكن من الكتب المتخصصة فى النقد الأدبى حتى يهتم بالتحليل والتعليل لأحكامه . كما أنه لا ينقد شاعرا معينا حتى يحكم عليه معللا هذا الحكم وإنما هو كتاب أدب يتناول النقد من خلال عرضه للنصوص الأدبية وإلقاء الضوء عليها .

كما أنه يأخذ على الثعالبى فى الكتاب إيجازه لأخبار بعض الشعراء إيجازا غير محمود حيث يقول " وفى بعض الأحيان يطيل فى ترجمة الشعراء والكتاب . ولا يفعل ذلك إلا حين يعرض لمن كثر خصومهم وأنصارهم . وتشعبت فيهم الأقاويل كالمتنبى . والصاحب . وأبى فراس . وفيما عدا ذلك يلم إلماما خفيفا قد يصل إلى ترجمة كاتب أو شاعر فى نصف صفحة . وذلك جانب من الضعف فى ذلك الكتاب النفيس "[٣٤١]

---

[٣٤٠] - راجع كتاب : النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى ٢ / ١٨٨ للدكتور : زكى مبارك .
[٣٤١] - النثر الفتى فى القرن الرابع ٢ / ١٨٨ .

ونحن لا ننكر ذلك ولكن الثعالبى لم يكن هذفه التاريخ لحياة الكتاب والأدبـــاء والشعراء . فكتابه فى الأدب فالثعالبى يعنى بالنص الأدبى لا بصاحبه . وبـــالقول لا بقائله .

كما يأخذ عليه بعض النقاد ميله إلى العبارات الطنانه والألفاظ الرنانـــة فـــى ترجمته للشعراء . حيث يقول الأستاذ " أحمد أمين " إن الثعالبى فى كتابـــه " يتيمـــة الدهر " يعنى فى ترجمة الشعراء بالعبارات الرنانة أكثر من عنايته بالتحليل النفسى للشاعر . وتحليل شعره . حتى إن ترجمة الشاعر يمكن رفعها من مكانها ووضـــعها فى ترجمة شاعر آخر "[٣٤٢] وللدكتور زكى " مبارك " كلام قريب من هذا المعنـــى وإن شئت فقل هو نفس الاعتراض الذى أورده الأستاذ " أحمد أمين " فـــى كتابـــه " ظهر الإسلام " حيث يقول الدكتور " زكى مبارك " والثعالبى مفتون بالإسراف فـــى إطراء من يتحدث عنهم من مشاهير الرجال وله فى ذلك تعابير تكاد تكـــون واحـــدة يدور بها هنا وهناك ومع أن الثعالبى يميل إلى الطنطنـــة فـــى التعريـــف بالكتـــاب والشعراء فإنه يلتزم هذه الخطة . وإنما يعود إليها فى الحين بعد الحين . ويغلب على ظنى أنه لا يفعل ذلك إلا حين تكون نفسه مستعدة لتنميق الإنشاء . وإذ ذلك لا يكون مشغولا بتقديم الصفات الحقة لمن يترجم لهم . وإنما يشغل بعرض مواهبه وقدرتـــه على التصرف فى فنون الكلام "[٣٤٣] وردنا على هذه الآراء أو هذين الرأيين للأستاذ " أحمد أمين " والدكتور " زكى مبارك " أن الثعالبى مع أنه يترجم للشعراء والكتاب لا ننسى ولا يتغيب عن أذهاننا أنه يتعشق الألفـــاظ الجزلـــة . والعبـــارة القويـــة ، والأسلوب الرصين . واللفظ المتين . والتراكيب التى تســـتهوى الفـــؤاد . وتســـحر الألباب وتأخذ بمجامع النفوس . وذلك دليل على مقدرته اللغوية . وثقافته الأدبيـــة . وتصريف العبارة . وتنوع الأسلوب . وتلك سمة من سمات الكتاب الذين يتملكـــون ناصية البيان . ويأخذون بتلابيب البلاغة والبيان . ونعتقد أن الثعالبى هدفه من وراء

---

[٣٤٢] - راجع ظهر الإسلام لأحمد أمين ١/ ١٢٢ بتصرف .

[٣٤٣] - راجع : النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى ٢ / ١٨٨ وما بعدها للدكتور زكى مبارك .

ذلك إفادة الكتاب والأدباء والشعراء وان يتزودوا بالثقافة اللغوية والأدبية لتكون لديهم القدرة على التمرس بهذه الأساليب والدربة والمران على استخدامها فى فنونهم وأغراضهم الأدبية والشعرية .

و" جورجى زيدان " يوجه للثعالبى فى كتابة " يتيمة الدهر " نقدا لاذعا حيث يقول " إنه جعل عبارته مسجوعة . وذلك لا يليق بكتب التاريخ والأخبار . كما أنه أغفل الفيات فيندر أن يذكر سنة الوفاة أو الولادة . وإنما هو قاصر على الأسئلة من الأشعار والإنشاء . وإطرائها مع بعض الأخبار"[٣٤٤] ولعل صاحب تاريخ آداب اللغة العربية " جورجى زيدان " جرى وراء غيره فى هذا النقد الذى وجهه لصاحب " يتيمة الدهر " إذ لا يليق بكاتب كبير كجورجى زيدان أن يصدر عنه مثل هذا القول لأسباب شتى نذكر منها ما يلى :

أولا : إنه يتهمه وينتقده بان عبارته مسجوعة ، ونحن نقول " لجورجى زيدان " تلك سمة العصر ، وطابع الكتابة والكتاب فلقد كان السجع ديدنهم ، والأسلوب المزركش هجيراهم واللفظ المزخرف سجيتهم ، فلم يكن الثعالبى فى ذلك بدعا من الأمر ، اى أنه لا يعقل أن يشذ عن ثقافة عصره ، ومن وجهة نظرنا لو انه خالف الكتاب فى هذا اللون لعد من المقصرين بل ولتهم بالقصور عن مجاراة كتاب عصره . فضلا عن أن " جورجى زيدان " يذكر ان هذا الكتاب من قبيل النقد الشعرى إذ يقول : " ويعد من قبيل النقد الشعرى كتاب يتيمة الدهر للثعالبى فإنه ذكر فيه محاسن الشعراء، وامثلة من أقوالهم مع الملاحظة والانتقاد فى أربعة مجلدات كبيرة "[٣٤٥] .

ثانيا : توجيه النقد للثعالبى فى كتابه " يتيمة الدهر " من حيث أنه أغفل سن الولادة، أو الوفاة فمردود عليه بقولنا إن الكتاب ليس كتاب تاريخ ، ولا تتبعا لحياة الشعراء والأدباء من الميلاد إلى الوفاة ، وإنما هو كتاب " أدب ونقد " يحاول المؤلف فيه

---

[٣٤٤] - راجع : تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ٢/ ٢٨٥ بتصرف .
[٣٤٥] - راجع تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ٢ / ٢٤٣ .

إبراز محاسن أهل عصره فى أشعارهم وخير شاهد على ما قلنا عنوان الكتاب حيث عنون له مؤلفه ب " يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر " فهو يبحث الجودة والرداءة فى أشعار هؤلاء ويوقفنا على مدى حسنها وقبحها ، وجودتها او رداءتها .

ثالثا : ومما يجعلنا نرتاب فى صدور هذا الحكم وذلك النقد عن " جورجى زيدان " عبارته التى يقول فيها : وينتقد بصيغة المبنى للمجهول ، ولو كان ذلك النقد صادرا عنه لجاءت هكذا " ونقدنا للكتاب " أو " مما يؤخذ عليه " وما شابه ذلك من العبارات التى اشتهر بها العلماء والنقاد والكتاب الذين يتحرون الدقة فى إستصدار أحكامهم العلمية والنقدية .

ثم يستطرد الدكتور : زكى مبارك فى نقده للكتاب فيقول " ومن عيوب " يتيمة الدهر " أن مؤلفه لم يذكر الوفيات ولا يؤمىء إلى أنه مات فى أى عام ، ولا يذكر فى أى عهد لقيه ، أو سمع به ، ولو أن الثعالبى عنى بتدوين الوفيات لأدى لتاريخ الأدب حقا من أوجب الحقوق "[٣٤٦] كما ان نرى ان الشيخ " محمد محى الدين عبد الحميد " يورد فى مقدمة الكتاب ما يفيد ذلك حيث يقول : " وإن كان فى هذا الكتاب نقص يصح أن يعيب به بعض الناس على صاحبه فهو أنه لم يعن بجمع أخبار من تعرض للاختيار له من الشعراء مما يتضمن نشأتهم ، ومواليدهم ووفياتهم ، وتصرف الدهر بهم ، بل إنه يتعرض لبعض الشعراء إلا فى إختيار عدة أبيات وقعت له ، أو سمعها من بعض روائها من الأدباء ، فالكتاب فى نظر هؤلاء ناقص، وفى مسيس الحاجة إلى إتمام هذا النقص "[٣٤٧]

وبعد توجيه تلك النقدات نرى الشيخ " محى الدين " يقوم بالرد على هذا الكلام، وذلك النقد بنفسه حيث يقول : " ونحن نقرر أن هذا الكتاب لم يوضع فى تاريخ الأدب والشعر ، ولا كان الغرض منه تاريخ حياة الأدباء والشعراء ، ولكنه

---

[٣٤٦] - راجع النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى ٢ / ١٩٠ بتصرف .
[٣٤٧] - راجع : مقدمة كتاب " يتيمة الدهر للثعالبى " بتصرف ص ٨ .

وضع فى صميم الأدب ولبابه ، فهو يعنى بالقول أكثر مما يعن بحال قائله ، وكثيـــر من الشعراء الذين جرى لهم ذكر فى الكتاب ، واختارهم صاحبه لم يكن يعرف عنهم شيئا ، بل لعله لم يسمع بهم ، ولا درى من شأنهم غير ما يرويه لهم مـــن الشـــعر القليل[٣٤٨] .

obeikandl.com

[٣٤٨] ـ ذاته بتصرف .

أثره فى النقد الأدبى

للثعالبى أثر جليل فى النقد الأدبى ، ونظراته الثاقبة والمثوثة فى كتبه وبخاصة " يتيمة الدهر " تعد خطوة جريئة نقلت النقد الأدبى من حال إلى حال ، ومن اليسير أن ندرك منحى الثعالبى فى النقد ، وهو البحث فى الأدب على أساس منهجى متكامل فيما يلى :

أولاً : تناول الثعالبى ظاهرة قائمة فى النقد الأدبى ، وهى تأثير البيئة ، وطابعها الخاص فى أشعار الشعراء ، وهو حين قسم كتابة " يتيمة الدهر " إلى أربعة أقسام حسب الأقاليم حاول ان يبرز بعض الخصائص الإقليمية التى أثرت فى شعر كل إقليم مما تعرض له .

ثانياً : حاول الثعالبى تعليل بعض الظواهر الأدبية المختلفة التى التقى بها لدى بعض الشعراء .

ثالثاً : قام الثعالبى بجمع أخبار الشعراء جمعا وافيا ، ثم عرض أشعارهم على ميزان النقد ، ثم يستحسن . ويستقبح . ويعلل . معتمدا فى ذلك على أقوال العلماء السابقين . وفى أحايين كثيرة يعتمد على آراء خاصة به .

ولعل دراسة الثعالبى لأبى الطيب المتنبى تعطينا فكرة واضحة عما فى هذا الكتاب من محاولة جادة للترجمة الفنية مع النقد ، ومحاولة لربط تاريخ الحياة واحداثها بالشعر .

وليس من شك أن للبيئة أثرا واضحا فى الشعر فهى تكسبه ظاهرة ما أو خاصية يشترك فيها شعراء كل إقليم ، كما أنها تستطيع مزاج شعرائها بطابع مشترك[٣٤٩] .

---

[٣٤٩] - راجع تاريخ العربى للدكتور : محمد زغلول سلام ٢ / ٤٤ ، ٧٦ .

والحق أن الثعالبى أفاض فى تعليل تأثير البيئة فى الشعر والشعراء تعليلا منطقيا فى أكثر من موضع فى كتابه " يتيمة الدهر للثعالبى " حيث إنه يقول فى فضل شعراء الشام على شعراء عرب العراق وما يجاورها فى الجاهلية والإسلام ، والسبب فى تبريز القوم قديما وحديثا على من سواهم فى الشعر ويعزى ذلك إلى أسباب منها :

أولا : قربهم من الديار العربية ولا سيما أهل الحجاز .
ثانيا : بعدهم عن بلاد العجم .
ثالثا : سلامة ألسنتهم من الفساد العرض لألسنة أهل العراق لمجاورة الفرس والنبط، ومداخلتهم إياهم .

ولما جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة، ورزقوا ملوكا وأمراء من آل حمدان وبنى ورقاء هم بقية العرب والمشغوفون بالأدب ، والمشهورون بالمجد والكرم والجمع بين أدوات السيف والقلم ، وما منهم إلا أديب جواد يحب الشعر وينتقده ، ويثيب على الجيد منه فيجزل العطاء ، ويفضل شاعرا على شاعر آخر، انبعثت قرائح الشعراء فى الإجادة فقادوا محاسن الكلام ، بألين زمام ، وأحسنوا وأبدعوا ما عن لهم الإحسان والإبداع[٣٥٠] .

ويتضح لنا من عرض الثعالبى لأثر البيئة فى شعراء الشام شدة إعجابه بهم ، فهو لا يفتأ مشيدا ببراعتهم ، ممجدا لشهرتهم وقد حدا به هذا الإعجاب إلى حد المبالغة حيث يفضلهم على شعراء عرب العراق ، وما يجاورها فى الجاهلية والإسلام .

وفى ذلك المبالغة كل المبالغة وتمام المبالغة ، إذ أننا التمسنا فى بطون تاريخ الأدب أثر الشاعر ظهر فى إقليمى الشام والعراق إبان حقبة الجاهلية صعب ذلك

[٣٥٠] - راجع يتيمة الدهر للثعالبى ١ / ٨ ، ٩ بتصرف .

obeikandi.com

علينا وتعذر ، ومن هنا يحق لنا أن نرمى " الثعالبى " بالمبالغة فى الإشادة بشعراء الشام ، وكان عليه أن يقدم لنا أمثلة من شعراء جاهليين ظهروا فى الشام أو العراق حتى يصح وجه المفاضلة ، ولكن ذلك لم يحدث ، بيد أنه حينما استشهد بما يعضد رأيه قدم لنا أمثلة من شعراء الإسلام .

ومع أن إعجاب " الثعالبى " بشعراء الشام كان إعجابا من الوجهة الفنية الخالصة إلا أننا لا نعفيه من المبالغة فى هذا الإعجاب .

ولعل هذا مما دفع الشيخ " محمد محى الدين " أن يرمى " الثعالبى " بالتعصب لشعراء الشام ، حيث يقول : " على أن فى هذا الكتاب عيبا لا نريد أن نغضى لصاحبه عنه ، وليس لنا أن نغفر هذا العيب وإن كان " للثعالبى " عنه معاذير أكثر من عدد الحصى ، إلا أن ذلك السبب يغطى على كل محمدة وهذا العيب هو " العصبية " حيث يعقد بابا موضوعه: " فضل شعراء الشام على شعراء سائر البلدان " وذكر البيت فى ذلك ويستهله بقوله : " لم يزل شعراء الشام ، وما يقارنها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها ، فى الجاهلية والإسلام[٣٥١] .

ونحن نؤيد ما ذهب غليه الشيخ " محمد محى الدين " حيث إنه لا يعقل أن يكون التفضيل علما ، وفى الجاهلية والإسلام بل من المؤكد أن هناك شعراء فى الجاهلية والإسلام أفضل من بعض شعراء فى الشام ، فإطلاق الأحكام على عواهنها بمثل ما حكم به الثعالبى فيه جور على بعض الشعراء على الأقل ولو أنه ذهب إلى أن بعضهم أى بعض شعراء الشام أفضل من بعض شعراء عرب العراق ، وما يجاورها فى الجاهلية والإسلام .

وذكر لنا أسماءهم ربما كان منصفا ، ولكن إطلاقه الحكم على أن الجميع أفضل من جميع هؤلاء الشعراء فيه جور – كما أومأنا آنفا فى الحكم – وظلم

---

[٣٥١] - راجع مقدمة " يتيمة الدهر " ص ١٠٢٩ .

obeikandl.com

للشعراء ، ودليل على تعصبه الأعمى والذى لا يستند إلى دليل ، ولا يتكىء على سبب واضح .

وللانصاف يقول : مع هذا التعصب المقيت لا ننسى ما للثعالبى من محامد تذكر فتشكر فالسيئات لا يذهبن الحسنات بل " إن الحسنات يذهبن السيئات " وهو شاعر " سيف الدولة " فى حلب من بلاد الشام ، ومع هذا فقد أبدى مساوىء المتنبى ومحاسنه على السواء ، وكان فى مكنته أن يبدى المحاسن ويخفى المساوىء ، أو كان قد رد على الصاحب والحاتمى ، وألف فىذلك ولو رسالة يرد بها عليهم ولكننا لم نر شيئا من ذلك فى مؤلفاته أو فى ثنايا كتبه ، ولعل ذلك يخفف ما تورط فيه الثعالبى من تعصب أو تعاطف مع شعراء الشام .

ومن حسناته أيضا ما قام به من ربط الشاعر ببيئته وأثرها فيه والعوامل الت اختلفت عليه ، كما ان من حسناته العديدة تعرضه لأثر البيئة فى محاسن أشعار أهل العصر من أصبهان حيث يقول " لم تزل أصبهان مخصوصة بين البلدان بإخراج فضلاء الأدباء وفحول الكتاب والشعراء ، فلما أخرجت الصاحب أبا القاسم وكثيرا من أصحابه ، وصنائعه ، وصارت مركز عزة ومجمع ندمانه ، ومطرح زواره ، استحقت أن تدعى مثابة الفضل ، وموسم الأدب .

وإذا تصفحت كتاب أصبهان لابن عبد الله حمزة بن الحسن الأصبهانى وانتهيت إلى ما أورد فيه من ذكر شعرائها ، وشعراء الكرخ ؛ وسياقه عيون أشعارهم ، وملح أخبارهم ، ثم تأملت هذا الباب من كتابى هذا وقرأت ما ينطق به ذكر شعرائها العصريين ، وغرر كلامهم حكمت لها بوفور الحظ من أعيان الفضل ، وأفراد الدهر ، وساعدتنى على أقدره من حسن طيب هوائها ، وصحة تربتها ، وعذوبة مائها فى طباع أهلها وعقول أبنائها[٣٥٢] .

[٣٥٢] - راجع يتيمة الدهر للثعالبى ٣ / ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

وذلك النص يؤكد ما ذهبنا إليه من أن " الثعالبى " يبرز بعض الخصائص الإقليمية التى لها أثر فعال فى شعر الشعراء ، فلقد جعل الثعالبى طيب الهواء ، وصحة التربة ، وعذوبة الماء أحسن الأثر فى طباع شعراء أهل أصبهان وعقولهم .

وهذا النقد يعتمد إلى جانب الذوق الأدبى ، ومقاييس الجودة والرداءة على البيئة ، والظروف التى اختلفت على الشاعر فيها ، وهو ما يسمى بالنقد الموضوعى فى العصر الحديث ، لأنه يتصل بالمشاهدة ، والفكر فى تأثير البيئة وطابعها الخاص فى أشعار الشعراء[٣٥٣] .

[٣٥٣] - راجع معالم النقد الأدبى للمرحوم الدكتور : عبد الرحمن عثمان أستاذ النقد الأدبى بجامعة الأزهر الشريف ص ١١٥ وما بعدها .

obeikandl.com

نماذج من الكتاب :

النموذج الأول

فى ذكرى أبى فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وأخباره وغـــرر اخبـــاره وأشعاره .

هو ابن عم سيف الدولة المقدم ذكره وابن عم ناصر الدولة ، كان فرد دهره ، وشمس عصره أدبا وفضلا وكرما ونبلا ، ومجدا وبلاغـــة وبراعـــة ، وفروســـية وشجاعة ، وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبـــة والفخامة ، والحلاوة والمتانة ، ومعه رواء الطبع ، وسمة الظرف ، وعزة الملـــك ، ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا فى شعر عبد اللاه بن المعتز . وأبو فراس يعد أشعر منه عند اهل الصنعة ، ونقدة الكلام ، وكان الصاحب يقول : " بدىء الشعر بملـــل ، وختم بملل " يعنى امرأ القيس . وأبا فراس . وكان المتنبى يشهد له بالتقدم والتبريز ، ويتحامى جانبه . فلا ينبرى لمباراته . ولا يجترىء على مجاراتـــه . وإنمـــا لـــم يمدحه . ومدح من دونه آل حمدان تهيبا له وإجلالا . لا إغفالا وإخـــلالا ، وكـــان سيف الدولة يعجب جدا بمحاسن أبى فراس . ويميزه بالإكرام عن ســـائر قومـــه ، ويصطنعه لنفسه ، ويصطحبه فى غزواته ، ويستخلفه على أعماله ، وأبوفراس ينثر الدر الثمين فى مكاتباته إياه ، ويوفيه حتى سؤدده . ويجمع بين أدبى السيف والقلـــم فى خدمته "[٣٥٤] .

[٣٥٤] - يتيمة الدهر ١ / ٣٥ دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان ط الأولى ١٩٧٩ م ١٣٩٩ ه .

obeikandl.com

فى ذكر أبى الطيب المتنبى ، وماله وما عليه

هو – وإن كان كوفى المولد – شامى المنشأ ، وبها تخرج ومنها خرج نادرة الفلك وواسطة عقد الدهر فى صناعة الشعر ، ثم هو شاعر سيف الدولة المنسوب إليه . المشهور به . إذ هو الذى جذب بضبعه[٣٥٥] .

ورفع من قدره ونفق سعر شعره . وألقى عليه شعاع سعادته حتى سار ذكره مسير الشمس والقمر ، وسافر كلامه فى البدو والحضر . وكادت الليالى تنشده والأيام تحفظه ، كما قال : وأحسن ما شاء (من الطويل) :

وما الدهر إلا من رواة قصائدى

إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

فسار به من لايسير مشمرا

وغنى به من لا يغنى مفردا(٣٥٦)

---

[٣٥٥] ـ كناية عن أنه رفعه وأعلى قدره – وفى معناه قول العامة فى ديار مصر " أخذ بيده " .

[٣٥٦] ـ ذاته ص ١١٠ .

obeikandl.com

أهم المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .
٢- ابن رشيق للأستاذ / عبد الرءوف مخلوف .
٣- ابن رشيق للأستاذ عبد العزيز الميمنى .
٤- أدباء العرب فى الأعصر العباسية .
٥- أطلس التاريخ الإسلامى .
٦- اعجاز القرآن – للباقلانى – تحقيق : سيد صقر – ط – دار المعارف .
٧- أعلام الكلام لابن مشرف الجزامى ط – الخانجى .
٨- الأدب العربى كارل بروكلمان .
٩- الأمالى لأبى على القالى .
١٠- البداية والنهاية لابن كثير الدمشقى – ط . السعادة : ١٣٢٥ ه .
١١- البيان والتبيين للجاحظ – تحقيق الأستاذ / عبد السلام هارون .
١٢- التبيان للعبكرى .
١٣- الحلل السندسية .
١٤- النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى . د . زكى مبارك .
١٥- النقائض .
١٦- الرسالة الشافية للإمام عبد القاهر الجرجانى .
١٧- زهرة الفردوس للديلمى – مخطوط بدار الكتب – تحت رقم ٢٠٤٨٩ لابن هشام . تحقيق د / إحسان عباس دار الثقافة بيروت .
١٨- الشعر والشعراء لابن قتيبة الدنيورى .
١٩- الصبح المنبى عن حيثية المتنبى للشيخ يوسف البـــديعى . ت : مصـــطفى السقا وآخرين ط دار المعارف .

obeikandi.com

٢٠- الصبغ البديعى فى اللغة العربية – د / أحمد موسى – دار الكاتب العربى للطباعة .
٢١- العمدة لابن رشيق القيروانى .
٢٢- الكامل لابن الأثير . ط . الازهرية – ١٣٠١ ه .
٢٣- الكنى والألقاب للقمى . ط . النجف ١٩٥٦ م .
٢٤- المتنبى لزكى المحاسنى – سلسلة نوابغ الفكر العربى .
٢٥- المثل السائر لابن الأثير – تحقيق – د / أحمد الحوفى ، ود / بدوى .
٢٦- المحتسب لابن جنى .
٢٧- النقد الأدبى للامام الشهيد : سيد قطب .
٢٨- الوافى على الوفيات .
٢٩- الوساطة بين المتنبى وخصومه للجرجانى .
٣٠- بساط العقيق الأستاذ / حسن حسن عبد الوهاب .
٣١- تاريخ أدب اللغة .
٣٢- تاريخ النقد الادبى للأستاذ / طه أحمد إبراهيم .
٣٣- تاريخ النقد العربى . للدكتور / محمد زغلول سلام .
٣٤- تاريخ النيسابوريين .
٣٥- تاريخ بغداد للخطيب البغدادى – مطبعة السعادة ١٣٧٦ ه .
٣٦- تتمة اليتيمة للثعالبى – تحقيق : عباس اقبال – ط – دمشق .
٣٧- تفصيل آيات القرآن الكريم للمستشرق بلا يوم .
٣٨- دائرة المعارف الإسلامية – تأليف طائفة من المستشرقين . ترجمة خورشيد وآخرين .
٣٩- دمية النصر فى محاسن أهل العصر . للبخارزى .
٤٠- دلائل الاعجاز للامام عبد القاهر الجرجانى .
٤١- ديوان ابن الرومى .

obeikandl.com

٤٢- ديوان أبى نواس . تحقيق أحمد عبد الجواد الغزالى – دار الكتاب العربى – بيروت – لبنان .
٤٣- ديوان الأعشى .
٤٤- ديوان المتنبى .
٤٥- ديوان امرىء القيس .
٤٦- ديوان جرير . المطبعة العلمية بمصر ١٣١٣ ه .
٤٧- ديوان حسان بن ثابت .
٤٨- ديوان كثير عزة .
٤٩- رسالة الماجستير للزميل الفاضل الدكتور / على محمدحين موسى .
٥٠- سحر البلاغة وسر البراعة للثعالبى ضبطه وصححه الأستاذ / عبد السلام الحوفى (دار الكتب العالمية – بيروت) .
٥١- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى .
٥٢- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى .
٥٣- شرح المعلقات للتبريزى .
٥٤- شعراء النصرانية .
٥٥- طبقات الفقهاء للشيزارى .
٥٦- ظهر الإسلام لأحمد أمين .
٥٧- عيون التاريخ للكتبى . مخطوط بدار الكتب .
٥٨- قراضة الذهب لابن رشيق .
٥٩- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لحاجى خليفة – مكتبة المتنبى – بيروت .
٦٠- لسان العرب . لابن منظور – ط – دار المعارف بالقاهرة .
٦١- مجلة الهلال .
٦٢- مجلة تراث الانسانية .

obeikandi.com

٦٣- مجلة كلية الدراسات بأسيوط .
٦٤- مجلة كلية الدراسات بسوهاج .
٦٥- مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية .
٦٦- معالم النقد الادبى لأستاذنا الفاضل د / عبد الرحمن عثمان .
٦٧- معاهد التنصيص للعباس .
٦٨- معجم الأدباء لياقوت – نشر ديوان المامون .
٦٩- معجم الأسرات .
٧٠- معجم البلدان لياقوت – مطبعة السعادة ١٣٢٣ ه .
٧١- مواسم الآداب – للسيد محمد البحتى .
٧٢- نزهة الألباء لابن الأنبارى .
٧٣- نظرية العلاقات لأستاذى الفاضل – د / محمد نايل .
٧٤- وفيات الأعيان لابن خلكان . تحقيق د / احسان عبـــاس – دار صـــادر – بيروت .

obeikandl.com

محتويات الكتاب

١- الإهداء .
٢- تصدير أ ، ب ، جـ .
٣- الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب .
٤- البيان والتبيين للجاحظ .
٥- الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينورى .
٦- العمدة لابن رشيق القيروانى .
٧- الغصون اليانعة فى محاسن شعر المائة السابعة لابن سعيد الأندلسى .
٨- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير .
٩- المؤتلف والمختلف للآمدى .
١٠-الموشح للمرزبانى .
١١-الوساطة بين المتنبى وخصومه للجرجانى .
١٢-جذوة المقتبس للحميدى .
١٣-سحر البلاغة وسر البراعة للثعالبى .
١٤-معجم الشعراء للمرزبانى .
١٥-نثر الدر للآبى .
١٦-يتيمة الدهر للثعالبى .
١٧-أهم المصادر والمراجع .

obeikandi.com